حميـــد

اليوم جنازة حميد، توفي في الستينات من عمره، مـن المفـترض أن أكون ممن يحملون نعشه إلى مثواه الأخير، لأنه كـان السـبب في انتقـالي لحياة جديدة مليئة بالرخاء والأمل، ولكني لا أستطيع، إذ لا تربطني به صلة قرابة أو صداقة أو حتى علاقة عابرة، لذا لا أملك إلا أن أمشي في جنازته وأحشر نفسي في الجموع الغفيرة التي جاءت لتشييعه، ولكن ما سرُّ علاقتي بحميد واهتمامي به!

...

قبل عدة أشـهر اسـتيقظتُ في يـوم عطلتـي وتحديـدًا في السـاعة الثامنة صباحًا على وقع رسالة نصية، تضايقت من هذه الرسـالة، فقـد كنت أريد أن أنام حتى الظهر، أمسكتُ بهاتفي المتحرك لأقرأ الرسـالة المزعجة فإذا هي من البنك تفيد بأنه قد أودع في حسابي عشرـة ملايـين دولار! طار النـوم مـن عينـي! عـش...رة ملاي...يـن د...و...لار!

مستحيل! استيقظت زوجتي متسائلة عن سبب استيقاظي في مثل هذا الوقت المبكر فأجبتها بأن رسالة شركة الكهرباء كانت السبب! وسوف أغلق الهاتف لأستأنف نومي! خلدت إلى فراشي مجدَّدًا، إلا أن النوم كان قد ذهب بعيدًا... بعيدًا، تقلبتُ في فراشي كثيرًا حتى مَلَّتْ زوجتي مني، فقررت مغادرة الفراش وشربَ كوبٍ من القهوة، قلت لنفسي: إنه بالتأكيد خطأ وسوف يصحح، هذه أخطاء تحدث دائما، أنا مثلا قبل عدة سنوات أودعت في حسابي أكثر من خمسين ألف جنيه لمدة يومين ثم سُحبت بعد ذلك بهدوء، بالتأكيد هذا المبلغ سيعود إلى صاحبه، فقررت ألا أهتم بالأمر، حينها فقط عاودتني الرغبة في النوم فنمت بكل بساطة!

في الأيام التالية لذلك... كنت أراجع حسابي لأرى إن كان المبلغ قد غادره أم لا، غير أنه ظل كما هو! انتظرت أسبوعًا آخر فكان الحساب دون تغيير، حينها قررت مراجعة البنك لكي أبلغ عن تحويل مبلغ ضخم في حسابي بالخطأ! قطعت تذكرة المراجعة وانتظرت دوري ولكن ما إن قرب حتى كانت الهواجس تنتابني، إذ إن موظف البنك

سيبلغ الشرطة أو مباحث الأموال العامة ولن أغادر البنك لمنزلي بل لغرفة التحقيق وربما توجه لي التهم وتثار حولي الشكوك! قلت في نفسي سأسأله فقط عن مصدر المبلغ، ولكنه قد يشك في الأمر، إذ إنه من المفترض أني أعرف الشخص أو الجهة التي أودعت هذا المبلغ في حسابي، وربما يعمد إلى تأخير تنفيذ طلبي ريثما يبلغ الشرطة، حينها قررت مغادرة البنك بهدوء، أثناء عودتي إلى منزلي راودتني نفسي لسحب مبلغ بسيط من عشرة الملايين دولار! دخلت في صراع معها فغلبتني! توجهت إلى الصراف وسحبت مئة جنيه وكانت العملية ناجحة تماما! لم أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف! هل أحول هذا المبلغ إلى حساب التوفير وأحتفظ به أم أبحث عن مصدره لأرجعه إليه، قررت نقله إلى حساب التوفير مؤقتا، راجعت البنك وطلبت تحويل عشرة الملايين دولار من حسابي الجاري إلى حساب التوفير، لم يبدِ موظف البنك أي ارتياب، بل تعامل معي بشكل طبيعي تماما، فقررت انتهاز الفرصة ....

- هل يمكن أن تزودني بعنوان المحول للمبلغ لأني فقدته وأحتاج إليه؟

بعد إنهائه إجراءات تحويل المبلغ أصدر لي مستندًا يحتوي على بيانات المودع، ونادى على عميله التالي بكل انسيابية!

غادرت البنك فورًا وفتحت المستند، كان المودع حميد، رئيس مجلس إدارة الشركة التي أعمل فيها!

وبقدر ما فرحت كان الحزن ينتابني لأنه يجب عليَّ الآن أن ألتقي بهذا الرجل لأعيد له ماله، هذا هو واجبي وعلي أن أفعل ذلك، فقلت في نفسي سأذهب إليه غدًا لأنهي هذا الكابوس الجميل!

في اليوم التالي وبينما كنت مستغرقًا في التفكير بأمر الثروة وكيف أنها سترحل عني إلى الأبد، كانت نفسي توسوس لي بأن أبقيها بل بأن أحولها لبنك خارجي وأرحل، فهذا المبلغ سيجعلني غنيًّا وسعيدًا إلى الأبد؛ سأتمكن من شراء عمارة أسكن في إحدى شققها وأؤجر الباقي، وبعد ذلك سأتمكن من شراء عمارة أخرى، وهكذا سوف أعيش برخاء

إلى آخر عمري، في لحظة انقطع حبل أفكاري الوردية برنين هاتفي المتحرك...

- ألو أنت حسن؟

- نعم من أنت؟

- اسمعني جيدًا يجب أن أراك في أقرب فرصة، بل الآن إن أمكن.

لم أتردد في مقابلته، ذهبت على الفور للقائه في المكان الذي حدده، مقهى بوسط المدينة، كان رجلًا في منتصف الخمسينات من عمره، يرتدي حُلَّةً أنيقة، رحب بي بحفاوة رغم ما بدا عليه لاحقًا من قلة الكلام، وبعد أن شربنا القهوة بدأ حديثه...

- طبعا أنت تعرف لماذا أنت معي الآن بالرغم من أننا لا نعرف بعضنا مسبقًا؟

- تقريبًا.

- عشرة الملايين دولار يجب أن تعود لي.

- هل أنت حميد؟

- لا، أنا صديقه.

أحسست حينها بأنني واقع في مشكلة كبيرة، بل وسط صراع عات بين رجلين ولكني حافظت على هدوء أعصابي...

أنا أعرف أن هذا المبلغ ليس من حقي.

ممتاز! أنت رجل صالح، ولأنك كذلك سوف أكافئك بخمسين ألف دولار نظير أمانتك وشهامتك.

- نعم، ولكني لن أرجع لك المبلغ!

- ماذا!

حميد مَنْ حوَّل عشرة الملايين دولار إلى حسابي، وعليَّ أن أعيدها له، وسوف أفعل ذلك فورًا.

أنت تتحداني إذن؟

أنا لا أتحدى أحدًا، كل ما في الأمر أنك لست مَنْ حول هذا المال إلى حسابي لأرجعه لك.

انتهى لقاؤنا باحتقان، قلت له إلى اللقاء فلم يجبني بل وحتى لم يمد يده لمصافحتي، عدتُ إلى البيت خائفًا. لا أعلم ماذا سيكون منه

وماذا سيفعل؟ قررتُ الذهاب إلى حميد لإنهاء المشكلة، في صباح اليوم التالي استأذنت من مدير عملي وذهبت إلى مقر الشركة الرئيسي، طلبت لقاءه فقالوا لي بأنه مسافر ولن يعود قبل أسبوعين على الأقل، هذا إن لم يكن أكثر، حاولت معهم أن يزودوني بأي وسيلة اتصال به ولكنهم رفضوا طلبي، أخبرتهم أن الأمر ملح ومهم، ولكنهم أصروا على رفضهم، وأبلغوني أنهم سيخبرونه عن أمري حال عودته.

عدتُ إلى ممارسة حياتي الاعتيادية التي مرت أيامها ثقيلة، فقد كنت خائفًا من أن يُنفِّذَ ذاك الرجل تهديده لي، إلا أن أيامي ظلت هادئة.

بيد أنه بعد مرور عدة أسابيع بدأت تصلني رسائل ترغيب وتهديد! فقد بدا الرجل يضع لي رسائل تحثني على الإذعان لمطالبه تحت عتبة البيت! وعلى زجاج سيارتي! لم أستطع التحمل اتصلت به مهددًا بأني سوف أبلغ الشرطة فرد عليَّ ضاحكا!

- لماذا لم تبلغ الشرطة وإدارة البنك قبل اليوم؟ سيكون موقفك سيئًا، أنت الآن معنا في هذه اللعبة، انسحب بهدوء وأعطني المال واحصل على الخمسين ألف دولار وينتهي كل شيء.

قلت له سأفكر فيما تقوله، إلا أنه حذرني من مقابلة حميد، فتيقنت بأنه قد عاد من سفره فسارعت للذهاب إليه، إلا أنه لم يكن موجودًا! سألت سكرتيرته إذا ما كانت قد أخبرته بأمري فأجابت بأنها فعلت!

قررت أن أبلغ الشرطة لأخرج من هذه المشكلة، فلا أمل لي بامتلاك عشرة الملايين دولار، وأنا لا أريد أن أدخل نفسي في صراع بين شياطين المال.

عدتُ إلى البيت وقد قطعت وعدًا على نفسي بأن أخبر الشرطة وأنهي الأمر برمته، ولكني تلقيت اتصالا جديدًا ولكن هذه المرة من شخص آخر...

- أنا حميد!

انعقد لساني من المفاجأة ...

ما لك لا تجيبني؟

وما أدراني أنك حميد؟

ضحك بشدة...

اسمعني أنا من أودعت في رصيدك عشرة الملايين دولار.

وماذا تريد الآن؟

تعال لمقابلتي في فندق السعادة لنتحدث بشأن هذا المبلغ، سأنتظرك في الساعة التاسعة مساء في الغرفة رقم ٥٥.

أغلقت الهاتف وأنا في قمة قلقي، فأنا الآن في معمعة صراع لا أعرف مداه، في الليلة الموعودة كنت في محطة استقبال فندق السعادة، أخبرت الموظفين بأني على موعد مع الأستاذ حميد، فألمح أحدهم بالإيجاب وطلب من أحد العمال إيصالي لغرفته، حينها اطمأننت بأني عند حميد فعلا وأني في أمان، استقبلني حميد بالترحاب وأجلسني على مائدته العامرة بأنواع مختلفة من الأطعمة الفاخرة، اعتذر مني عن كل إزعاج سببه لي وتحدث معي بود...

- المبلغ يجب أن يعود بالطبع وأنا عندما أودعته في حسابك كان خطأ مقصودًا!

- خطأ مقصود! كيف ذلك؟

- كان علي أن أخفيه بأي طريقة حتى لا أضطر لدفعه لذلك المارق الذي يسعى للاستيلاء عليه من دون وجه حق.

- وما قصتك معه يا سيد حميد؟

- لا تشغل بالك كثيرًا.

- أتمنى أن تخبرني.

- سأخبرك باختصار، إن هذا المبلغ موجود في حساب الشركة التي كانت تجمعنا، وبعد تدقيق المحاسبين كان من نصيبي، وقد تنازل عنه بالفعل، إلا أنه عاد يطالب به مجددًا مدعيًا أني خدعته وأخذت أكثر من حقي، وهو الآن يريده بأي ثمن.

- لماذا؟

- لأنه خسر معظم ثروته في خلال الفترات الماضية، وهذا المبلغ يعني له الشيء الكثير.

- فهمت الآن.

- هذه حقيبة ضع فيها المبلغ وأحضره غدًا إلى هنا، سأكون قد حجزت لك غرفة بجانبي، سلمها للأمانات، وفي الليل أعطني إياها، وسوف أكتب لك إيصال استلام مختومًا بختم الشركة ومذيلا بتوقيعي، وسوف أعطيك مئة ألف دولار مكافأة لك وتعويضًا عن أيام القلق التي سببتها لك.

فرحت كثيرًا بلقائي مع الأستاذ حميد، كانت المئة ألف دولار مبلغًا هائلا بالنسبة إليَّ بل ثروة جاءت في وقتها، في اليوم التالي سحبت المبلغ كاملا وتوجهت من فوري إلى فندق السعادة، وضعت الحقيبة في الأمانات وذهبت لغرفتي المحجوزة مسبقًا، لم أستطع النوم فقررت قضاء اليوم في ردهة الفندق ومرافقه، في الساعة التاسعة ذهبت للقاء حميد، رحب بي كثيرًا، أخبرته بأني أحضرت المبلغ، فشكرني شكرًا جزيلا، كان العشاء جاهزًا، فاعتذرت عنه وطلبت منه الذهاب لإحضار النقود فلقد تأخرت عن زوجتي، فأجابني إلى ما أردت، ما إن هممت بالمغادرة حتى تلقيت ضربةً من غريمه قذفت بي نحو الأرض!

- الآن يجب أن نصفي حسابنا يا حميد، إما عشرة الملايين دولار أو تكون هذه الليلة آخر ليلة في حياتكما!

أجابه حميد بأنه إن فعل فلن يحصل على المال، إلا أنه رد عليه بأنه سوف يهاجم مكتب الأمانات ويستولي على المبلغ مهما كان الثمن، طلب منه حميد أن يتريث قليلا وأن يهدأ...

- حسنا، سيذهب هذا الرجل الطيب لإحضار الحقيبة.
- فليذهب ولكن إن لم يعد في خلال عشر دقائق فسوف أقتلك.

قلت لهما إني سآتي فورا بالنقود، فهي لا تهمني ولا أريد سوى العودة إلى منزلي سالمًا، ما إن أغلقت باب الغرفة متجهًا نحو المصعد الكهربائي حتى سمعت أزير الرصاص، فقرعت أجراس الإنذار على أثره، عدت فورًا إلى غرفتي متابعًا الأحداث من عدسة الباب، شاهدت العشرات من موظفي أمن الفندق يهرعون إلى غرفة حميد، ثم تدفق رجال الإسعاف والشرطة، بعد ساعة شاهدت المسعفين وهم ينقلون جثتين، تيقنت أنهما تعودان لحميد وغريمه، استلقيت على فراشي مرعوبًا، ولم أجرؤ على الخروج حتى الصباح، ومع شروق

الشمس تسللت بهدوء من غرفتي وكأن لا علاقة لي بما حدث، ذهبت لتناول طعام الإفطار في أجواء طبيعية تمامًا، انتظرت ساعة أخرى وقررت مغادرة الفندق، توجهت لإنهاء إجراءات المغادرة وطلبت حقيبتي، استمهلني الموظف عدة دقائق إلى أن جاء بها، كان قلبي يقرع بشدة، ولكن ما إن وضعت يدي على حقيبة العمر حتى حال بيني وبينها عميل شرطة سري!

- هل هذه الحقيبة لك؟

- بالطبع.

- هل سمعت إطلاق النار ليلة البارحة؟

- نعم، سمعت ولذلك قررت عدم الخروج من غرفتي.

- (بابتسامة) سلوك رائع ومسؤول، أتمنى أن يكون جميع الناس مثلك، فالبطولات الفارغة تورطنا في مشاكل نحن في غنى عنها.

- شكرا لك سيدي.

وبعد أن تأكد من اسمي وأنه غير مطلوب وأن الحقيبة تخصني سمح لي بالمغادرة، استقليت سيارة أجرة واتجهت من ساعتي إلى البنك حيث أودعت المال مرة أخرى في حساب التوفير، عدت إلى منزلي ثم إلى عملي ومارست حياتي العادية، بعد فترة... أُفرج عن جثة حميد وأعلن عن يوم جنازته، وها أنا ذا أشارك في تشييع الرجل الذي كان سببًا في سعادتي مدى العمر، عرفانًا بالجميل وردًا للمعروف.

سوف أُأَسسُ شركة استيراد وتصدير، وأشتري لي بيتا أنيقًا، وسيارة جديدة، وسوف أتصدق بصدقة جارية باسم حميد، وسأضع ما تبقى من المبلغ كوديعة في البنك، بعد عدة أشهر ستلد زوجتي طفلها الأول وسيكون ولدًا كما أخبرنا الطبيب، وإن صح ما يقوله فسوف أسميه دون شك حميد.